

القضاة وأحوالهم في عهد الموحدين

م.م. أكرم حسين غضبان

جامعة البصرة - كلية الآداب
قسم التاريخ

أولى حكام الموحدين مسألة شيوع العدل في أرجاء دولتهم عناية خاصة لان شيوع العدل يساهم في نشر الأمان وإنعاش التجارة وتطوير مؤسسات الدولة وضمان حقوق افراد الشعب ، لذا فقد حرص حكام الموحدين على اختيار افضل القضاة وأكثرهم علما وذكاء ومعرفة بأحكام القضاء للنظر في قضايا العامة حيث عالجوا بحكمتهم الواسعة ورجاحة عقلهم دعاوي الناس فتم إنصاف المظلوم بإعادة حقوقه له ، وردع الظالم بإبطال دعواه المزيفة ، كما نال بعض القضاة الحظوة والجاه والمكانة المرموقة عند خلفاء الموحدين حتى قلدوهم أسمى المناصب وارفعتها في الدولة الموحدية .

اختيار القضاة

شكل القضاء اساس هرم مؤسسة القضاء الموحدية لذا فقد كانت مهمة اختيارهم بالغة الاهمية وشديدة الصعوبة حيث كان حكام الموحدين يبذلون جهودا مضنية ووقفاً طويلاً في البحث عن الرجل المناسب ليتولى القضاء والنظر في دعاوي العامة ، كما نجدهم لا يتساهلون في الشروط التي وضعوها في اختيار القضاة وهي : ان يكون صحيح الإسلام . وراجح العقل ، وحرًا في تفكيره ، وعادلاً بحكمة ، وعالماً بأمور دينه ودنياه وسليم الحواس (١) وقد أضاف الخليفة الموحيدي عبدالمؤمن بن علي (٥٢٤ - ٥٥٨ / ١١٣٠ - ١١٦٣ م) على تلك الشروط شروطاً أخرى وهي : أن يكون القاضي محمود السيرة . وله حظ وافر من علوم الفقه والحديث . وقد نال ثقة علماء عصره ، وان يكون من عائلة معروفة بشرفها وعراقة نسبها (٢) .

(١) النباهي ، كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، بيروت ، لبنان ، د. ت ، ص ٢-٤ .

(٢) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والملة ، تحقيق : د . احسان عباس ، بيروت ،

١٩٦٥ ، ج ٥ ، ق ١ ، ص ١٦٤ .

حيث برز من قضاة الخليفة عبد المؤمن القاضي أبو القاسم خلف بن محمد بن فتحون (ت ٥٥٧ هـ) (١) الذي ولي قضاء مدينة أوريولة (٢) فأعدل في أحكامه (٣).
 في حين بلغ حرص الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠ هـ / ١١٦٣-١١٨٤ م) على إشاعة العدل في جميع أرجاء دولته إلى قيامه بتفقد أحوال رعيته والسؤال عنهم بنفسه حتى يتأكد من إقامة العدل في جميع أنحاء بلاده (٤).
 وقد أشار ابن صاحب الصلاة (كان حيا ٥٩٤ هـ) إلى ذلك بقوله ((فظهرت من ... دلائل اليمن واتصال محمد ... بسير الراكب حيث يشاء من بلاد العدو في طرقها من جبلها وسهلها آمنة في نفسه وماله لا يخاف الا الله او الذئب)) (٥).
 وقد اشترط الخليفة أبو يعقوب في قاضي الموحدين شروطا عديدة منها : ان يكون ((رجلا صالحا ... له تجرّ في الفقه ومعرفة أصوله ، وبصر بعلم الحديث ... مع نزاهة نفس وطهارة ... وتصميم في الحق)) (٦) وقد اشتهر من بين قضاة الموحدين في عهده القاضي أبو الحسن علي بن قنون (ت ٥٧٧ هـ) (٧) فقد كان من القضاة الأفاضل المعروفين بالوجاهة وحسن السيرة وعدالة الأحكام ونزاهتها (٨) (كما اشتهر القاضي عبد العظيم بن هشام الخولاني (ت ٥٧٦ هـ) (٩) بنزاهته وعدالة أحكامه حيث ولاه الخليفة أبو يعقوب قضاء بعض مدن

- (١) هو أبو القاسم خلف بن محمد بن خلف بن سليمان بن خلف بن محمد بن فتحون أحد قضاة الموحدين المعروفين في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي ولي قضاء أوريولة، تو قهه خسة ٥٥٧ هـ، أنظر، ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الصديقي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، ١٩٨٩، ص ٨١-٨٢.
- (٢) أوريولة: مدينة أندلسية حصينة تقع على حافة جبل وهي إحدى كور مدينة تدمير.
- (٣) ابن الأبار، المعجم، ص ٨١-٨٢.
- (٤) القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، المكتبة العتيقة، ١٣٨٧ هـ، ص ١٨.
- (٥) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة الامام الخليفة امير المؤمنين واخير الخلفاء الراشدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، بغداد، ١٩٧٩، ص ٢٩٣.
- (٦) عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٢٤٦-٢٤٧.
- (٧) هو أبو الحسن علي بن أبي القاسم عبد الرحمن بن ابي قنون أحد قضاة الخليفة أبو يعقوب عرف بفضله ووجاهته وعدالة أحكامه ونزاهتها، توفي سنة ٥٧٧ هـ.
- راجع، المراكشي، الذيل والتكملة، ج ٥، ق ١، ص ١٥٩-١٦٠.
- (٨) المصدر نفسه، ج ٥، ق ١، ص ١٥٩-١٦٠.
- (٩) هو عبد العظيم بن يزيد بن هشام الخولاني من قضاة الموحدين المشهورين بنزاهة أحكامهم وعدالتهم ولاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قضاء عدد من مدن بلاد المغرب والأندلس، توفي سنة ٥٧٦ هـ. أنظر، ابن الزبير، القسم الأخير من صلة الصلة، تحقيق البني بروفقتال، الجزائر، ١٩٣٧، ص ٣٤.

المغرب منها دكالة (١) وسجلماصة (٢) إضافة إلى عدد مدن الأندلس منها غرناطة (٣) وجيان (٤) (٥).

بينما اهتم الخليفة الموحيدي أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٨٤ - ١١٩٩ م) اهتماما بالغا في سيادة العدل في جميع مؤسسات دولته فأرسل العديد من الكتب إلى جميع ولايته على الأقاليم حثهم فيها على بسط العدل وأنصاف الرعية واختيار أفضل القضاة وأعدلهم أحكاما للقيام بهذه المهمة (٦)، لذا فقد ساد العدل وعم الخير جميع أنحاء البلاد في عهده (٧). وقد اشترط الخليفة يعقوب المنصور جملة من الشروط منها : ان يكون القاضي ((من كبار العلماء وجلة الرؤساء ... جميل الاخلاق . عظيم الحرمة ... محمود السيرة . موصفا بالعدل والجزالة)) (٨) حيث برز من قضائه القاضي ابو الحسن علي بن احمد الاموي (ت ٥٨٣ هـ) (٩) فقد كان من افاضل قضاة زمانه واشهرهم تمثلت احكامه بعدلتها ونزاهتها (١٠). في حين اختار الخليفة الموحيدي الناصر (٥٩٥ - ٦١٠ هـ / ١١٩٩ - ١٢١٣ م) القضاة المعروفين

(١) دكالة : مدينة مغربية مشهورة ببساتينها الخضراء .

راجع ، مؤلف مجهول ، الاستبصار ، في عجائب الأمصار ، تحقيق : د. سعد زغلول عبد الحميد ، الإسكندرية ، ١٩٥٨ ، ص ٢٠٩ .

(٢) سجلماصة : مدينة مغربية تقع على طرف الصحراء وهي غنية ببساتين النخيل والأعناب والفواكه . انظر ، مجهول ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٣) غرناطة : مدينة أندلسية تقع بالقرب من وادي آش وهي إحدى مدن البيرة .

راجع ، الحميري ، المصدر السابق ، ٢٣ .

(٤) جيان : مدينة أندلسية تقع على سفح جبل عال اشتهرت ببساتينها الخضراء ومناخها المعتدل ، انظر ،

الحميري ، المصدر السابق ، ص ٧٠ - ٧١ .

(٥) ابن الزبير ، المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٦) ابن عذاري ، البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الأندلس والمغرب ، عني بنشره : امبروسي هويبي ميرانده بمساهمة محمد تاويت ومحمد ابراهيم الكتاني ، تطوان ، ١٩٦٠ ، ق ٣ ، ص ١٤٤ .

(٧) ضيا باشا ، الأندلس الزاهية ، تعريب : عبد الرحمن ارشيدات ، مراجعة وتحقيق : صلاح ارشيدات ، عمان ، ١٩٨٩ ، ج ٣ ، ص ٢٢ .

(٨) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة الكتابي الموصول والصلة ، تحقيق : د. محمد بن شريفة ، الرباط ، ١٩٨٤ ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٣٨٧ .

(٩) هو ابو الحسن علي بن احمد بن علي بن فتح بن لبال بن اسحق بن أمية ... بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي من ابرز قضاة الخليفة الموحيدي يعقوب المنصور ، توفي سنة ٥٨٣ هـ .

راجع ، المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج ٥ ، ق ١ ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(١٠) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ق ١ ، ص ١٧٠ .

برجاجة عقولهم وكبر سنهم وعدالة أحكامهم ووفرة أموالهم (١) وكان قصده من ذلك حتى لا تدنُ أيديهم إلى اخذ الرشوة من العامة . وقد برز في عهده القاضي موسى بن محمد الهمداني (ت ٦٠٨ هـ) (٢) المشهور بعلمه وورعه وعدالة أحكامه حيث استقضى على مدينتي مالقة (٣) وغرناطة (٤).

ثقافة القضاة

امتلك قضاة الموحدين ثقافة شاملة ومتنوعة تضمنت معرفة العديد من العلوم والمعارف وأساليب التخاطب والتعامل مع الآخرين ، وقد ساعدت هذه الثقافة القضاة في التعرف على نفسية أفراد الشعب الموحد وكيفية التعامل مع الخصوم في العديد من الدعاوي المقدمة إليهم حتى يتسنى لهم إصدار الحكم العادل في إظهار الحق وكشف الباطل.

وقد تمثلت ثقافة القضاة بالمعرفة التامة بقراءة القرآن الكريم وتجويد آياته ومعرفة تفسيرها والاطلاع الواسع على السنة النبوية الشريفة وحفظ أحاديث الرسول الكريم محمد (ص) وسلسلة سند رواياتها (٥) لأن ذلك يفيد القاضي في إصدار أحكامه وفق ما قرره الشرع الإسلامي. حيث كان القاضي علي بن أبي القاسم الزهري (ت ٥٦٧ هـ) (٦) من أبرز قضاة الموحدين المعروفين بورعهم وتقواهم فقد ولاه الخليفة عبد المؤمن بن علي قضاء مدينة اشبيلية (٧) لما عرف عنه من حفظ جليل لكتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم محمد (ص) (٨) .

كما شملت ثقافة القضاة الاطلاع الواسع على علوم اللغة العربية ولا سيما النحو والبلاغة لأنها تمكن القاضي من امتلاك لسانا فصيحاً يساعده في التعبير بكلام بليغ عند تكليفه بإلقاء

(١) المصدر نفسه ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٣٨١.

(٢) هو موسى بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني ولاه الخليفة الموحد الناصر قضاء مدينتي مالقة وغرناطة ، توفي سنة (٦٠٨ هـ). انظر ، المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٣٨٦.

(٣) مالقة : مدينة اندلسية تقع على ساحل البحر مشهورة بزراعة التين .

(٤) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٣٨٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ق ١ ، ص ١٦٩ .

(٦) هو علي بن أبي القاسم احمد بن عبد الرحمن الزهري من أشهر قضاة الموحدين ولاه الخليفة عبد المؤمن قضاء مدينة اشبيلية ، توفي سنة ٥٦٧ هـ راجع ، المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج ٥ ، ق ١ ، ص ١٦٢ - ١٦٤ .

(٧) اشبيلية : من أشهر مدن بلاد الأندلس تقع بالقرب من ساحل البحر ويطل عليها جبل الشرف ، انظر ، ياقوت الحموي . معجم البلدان . دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د. ت ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٨) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج ٥ ، ق ١ ، ص ١٦٢ - ١٦٤ .

الخطب الحماسية في المناسبات ومواسم الأعياد ، فقد كان القاضي ابو بكر يحيى بن احمد السكوني (ت ٦٢٦ هـ) (١) ((يخطب بديهيًا ويتكلم عن السلاطين في المصالح الجمهورية فيأتي بعجائب إدراكاً وبلاغة)) (٢). وتضمنت أيضاً ثقافة القضاة درايتهم الشاملة بتاريخ الأمم وحفظ تام لانساب القبائل العربية ومعرفة رجالها في حين امتلك بعض القضاة ملكة شعرية أهلتهم بان يكونوا شعراء بارزين في العصر الموحيدي (٣) فقد كان القاضي الأديب أبو محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الله (ت ٦١٢ هـ) (٤) من ابرز قضاة الموحدين الشعراء حيث كان يلقي القصائد الشعرية في المناسبات التي يحتفل بها الشعب الموحيدي (٥).

وقد أدت الثقافة الواسعة لقضاة الموحدين إلى تعزيز مكانتهم عند الخلفاء حيث حضى بعضهم بمكانة مرموقة ومتميزة في البلاط الموحيدي ، فقد تولى القاضي الفقيه ابو بكر بن الجد (ت ٥٨٦ هـ) (٦) رئاسة القضاء في بلاد الاندلس لمدة ستين سنة (٧).

وقد بلغت مظاهر الاحترام والتقدير لهذا القاضي وذلك عند خروجه مع وفد اهل اشبيلية لاستقبال الخليفة الموحيدي القادم لزيارتهم ، فعندما وقعت عين الخليفة يوسف بن

(١) هو ابو بكر يحيى بن احمد بن خليل بن اسماعيل بن عبد الملك بن خلف بن محمد بن عبد الله السكوني من ابرز قضاة الموحدين واوسعهم ثقافة وعلمًا توفي سنة ٦٢٦ هـ .

انظر ، ابن الزبير ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٤ .

(٣) النباهي ، المصدر السابق ، ص ١١٢ ، المقرئ ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ج ٢ ، ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٤) هو ابو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط الله الانصاري من ابرز قضاة الدولة الموحدية وشعرائها ، توفي سنة ٦١٢ هـ .

راجع ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : محب الدين ابي سعيد عمر بن غرامة العمروي ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ج ١٦ ، ص ٨٣ - ٨٤ ، ابن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ج ٣ ، ص ٤١٥ - ٤١٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤١٥ .

(٦) هو ابو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجد الفهري من ابرز قضاة الموحدين واوسعهم ثقافة وعلمًا حظي بتقدير حكام الموحدين واحترامهم ، توفي سنة ٥٨٦ هـ .

انظر ، الضبي ، بغية الملتبس في تاريخ رجال الاندلس ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ ، ص ٩٩ . المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق : بشار عواد معروف ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ج ١ ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، حيدر - آياد ، الدكن - الهند ، ١٩٥٧ ، ج ٤ ، ص ١٣٦٠ - ١٣٦١ .

(٧) المنذري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

عبدالمؤمن ورأى ابن الجد نزل عن فرسه اجلالاه ومسلما عليه(١) وبالمقابل قام ابن الجد بتقبيل يد الخليفة والترحيب به(٢).

وكذلك نال القاضي ابو العباس احمد التميمي (عاش في القرن السادس الهجري) (٣) مكانه مرموقة عند خلفاء الموحدين لما عرف به من علم واسع وثقافة شاملة وعدالة في الاحكام حيث ولي قضاء مدينة بجاية(٤) لعدة سنوات(٥).

وقد دفعت الثقافة العالية لقضاة الموحدين الى التواضع في مشيتهم ومأكلهم وملبسهم واسلوب تعاملهم مع الآخرين فنالوا بذلك احترام عامة الموحدين وتقديرهم ، فقد كان القاضي عمر بن ابي الحسن محمد بن واجب (ت ٥٥٧ هـ) (٦) شيخاً متواضعاً مقتصراً في مشيته لا يحب التملق الى ذوي الجاه والسلطان ويكن الاحترام والتقدير الى جميع الموحدين فأحبه الخاصة والعامة(٧). في حين كان القاضي ابو الحسن علي بن احمد الاموي من القضاة المتواضعين في ملبسهم ومأكلهم فقد كان اكثر لباساً جبة(٨) من الصوف العادي الغير مطرز وعمامة(٩) بسيطة في شكلها ولونها. كما تولى خدمته بنفسه فكان يذهب الى السوق لشراء كل ما يحتاج اليه من سلع وحاجيات وكثيراً ما كان يقف حاملاً سلة خبزها على قرن المدينة

(١) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : شوقي ضيف ، ط٢ ، مصر ، ١٩٦٤ ، ج١ ، ص ٣٤٣ .

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ق ٣ ، ص ١٣٢ .

(٣) هو القاضي ابو العباس احمد بن ابي القاسم عبد الرحمن بن عثمان التميمي من اشهر قضاة الموحدين عرف بثقافته الواسعة وعدالته في الاحكام ، (عاش في القرن السادس الهجري) .

انظر الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق : عادل نويهض ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ٢٤٣ .

(٤) بجاية : مدينة مغربية تقع على ساحل البحر مشهورة بقلاعها الحصينة .

راجع ، مجهول ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٥) الغبريني ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣ .

(٦) هو عمر بن ابي الحسن محمد بن واجب بن عمر بن محمد بن واجب من ابرز قضاة الموحيدي عرف بسعة علمه وتواضعه وعدالة احكامه ، توفي سنة ٥٥٧ هـ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٥ ، ق٢ ، ص ٤٦٨ .

(٨) الجبة : ثوب يرتديه الرجال وغالباً ما يكون مطرزاً بخيوط ملونة .

راجع ، رينهارت دوزي ، المعجم المفصل بأسماء الملابس عن العرب ، ترجمة : د. اكرم فاضل بغداد ، ١٩٧١ ، ص ١٥٩ .

(٩) العمامة : قطعة من القماش تلف عدة لفات حول طاقيّة الرأس وغالباً ما تكون بيضاء اللون ، انظر ، دوزي ، المرجع السابق ، ٢٥٥ .

أسوة بغيره من الموحدين (١) .

وقد بلغ احترام الموحدين للقضاة الى إقامة احتفال تأبيني لهم عند وفاتهم حيث يتقدم احد القضاة المشهورين بورعهم وتقواهم للصلاة على جثمان القاضي المتوفي بعدها يشيع الجثمان وسط تجمع جماهيري غفير يضم الرجال والنساء حيث يتسابق الجميع الى رفع النعش بالأيدي وكانت تلقى في ذلك الاحتفال القصائد الرثائية من قبل بعض الشعراء وترسل كتب العزاء الى نوي القاضي المتوفي (٢) فقد كانت جنازة القاضي ابو العباس احمد بن عبد الرحمن الانصاري (ت ٥٥٩ هـ) (٣) عظيمة المحفل وكثيرة الجمع فقد شيعه العديد من رجال ونساء الموحدين ورثاه الكثير من الشعراء بقصائدهم وارسل الخاصة والعامة كتب العزاء الى ذويهم (٤) .

مهام القضاة

تعددت مهام قضاة الموحدين لما حضوا به من مكانة متميزة ومرموقة عند الخلفاء والامراء والاعيان وعامة الموحدين . فقد كانت المهام القضائية من اولويات المهام الموكلة اليهم في حين اسندت لهم مهام اخرى تتعلق بالجوانب الفكرية والاقتصادية والدينية والامنية للدولة الموحدية فابدعوا في ادارتها وكانوا عند حسن الظن .

فقد كانت المهام القضائية من ابرز المهام التي مارسها قضاة الموحدين لانها ارتبطت بصميم عملهم الاساسي الذي اوكل اليهم ، فقد كانوا يتطلعون باستمرار على احوال الناس ولا سيما المسجونين ويدققون في الشكاوى المرفوعة ضدهم لإنصافهم وردع الظلم عنهم (٥) وكثيرا ما يعتمدون في اظهار صحة المعلومات على اشخاص موثوق بهم يقومون بالسؤال عن الشخص المشتكى عليه وعن سمعته بين الناس خوفا من ان يكون من فئات الشعب الفقيرة الكادحة وقد وقع عليه ظلم من قبل بعض رجال الدولة والعاملين بمؤسساتها (٦) .

(١) المركشي ، الذيل والتكملة ، ج ٥ ، ق ١ ، ١٦٩ - ١٧٠

(٢) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج ١ ، ص ١٨٦

(٣) هو ابو العباس احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن الصقر الانصاري الخزرجي

احد قضاة الموحدين البارزين شهدت جنازته حفلا عظيما وجمعا غفيرا ، انظر ، ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج ١ ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٦ .

(٥) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٤٤٧ .

(٦) أكرم حسين غضبان ، كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة مصدرا لدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد الموحدين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٠ ، ص ١١٦ - ١١٧

كما أوكلت الى قضاة الموحدين مهمة الاشراف على اخذ البيعة للخليفة الموحي من عامة الناس ، ويتضح لنا ذلك في سنة ٥٥٥ هـ عندما عبر الخليفة عبد المؤمن بن علي الى بلاد الاندلس حيث استقبله عامة اهله ووجهائها واعيانها وسلموا عليه ورحبوا به حيث قام القاضي ابو بكر الغافقي (عاش في القرن السادس الهجري) (١) بأخذ البيعة للخليفة عبد المؤمن من عامة الموحدين في بلاد الاندلس وتأكيدهم على لزوم الطاعة له واتباع أوامره (٢).

وكذلك أوكلت الى القضاة مهمة إلقاء الخطب في أوقات الاحتفالات ومواسم الأعياد لما حظوا به من احترام وتقدير ومكانة مرموقة عند حكام الموحدين وما عرفوا به من ثقافة واسعة ألهتهم بأن يكونوا خطباء بليغي المنطق وجزلي الألفاظ ، ففي سنة ٥٦٦ هـ تصدر القاضي ابو يوسف حجاج بن يوسف (من رجال القرن السادس الهجري) (٣) الاحتفال المقام بمناسبة شفاء الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من مرضه حيث القى خطبة بليغة الكلام وجزلة المفردات استخدام فيها كافة ادوات البلاغة والنحو حتى شد اسماع الحاضرين واستمال قلوبهم حيث تضمنت الخطبة تقديم الشكر لله تعالى على سائر نعمة بما فيها نعمته على الموحدين بشفاء خليفته المريض والدعاء بالخير والفلاح للجميع وتسديد خطي الخليفة في كافة الاعمال والدعاء له بالنصر الدائم على أعداء الدولة الموحدية كما ذكر القاضي في خطبته التأكيد على ما أقرته البيعة من عموم الموحدين في تأكيد الخليفة ابو يعقوب في كافة الأقوال والأفعال (٤) .

كما شملت مهام القضاة مهمة تدريس العلوم لكافة أبناء الشعب الموحي حيث برز العديد من قضاة الموحي كمدرسين قديرين لهم مكانة متميزة في المجتمع الموحي ، فقد كان القاضي ابو حفص عمر بن عبد الرحمن الانصاري (ت ٥٧٦ هـ) (٥) من العلماء

(١) هو ابو بكر الغافقي احد قضاة الموحدين المشهورين بورعهم وتقواهم قام بأخذ البيعة من عامة الموحدين في بلاد الاندلس الى الخليفة عبد المؤمن عند عبوره اليها ، (عاش في القرن السادس الهجري) . انظر ، ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(٣) هو ابو يوسف حجاج بن يوسف من ابرز قضاة الموحدين في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، كان يتصدر مجالس الاحتفالات في عهده ويلقي الخطب البليغة فيها ، (من رجال القرن السادس الهجري) . انظر ، ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٤٤٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٤٧ .

(٥) هو ابو حفص عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد العزيز بن حسين بن عذرة الانصاري من قضاة الموحدين المشهورين بتدريس علوم الفقه واصول الدين في مدينة سبتة والمدن المجاورة لها ، توفي سنة ٥٧٦ هـ

المشهورين في تدريس علوم الفقه في مدينة سبتة (١) والمدن المجاورة لها (٢) في حين درس القاضي ابو تميم ميمون بن جبارة الفرداوي (ت ٥٨٤ هـ) (٣) علوم الدين واصول الفقه اضافة الى تدريسه العقائد الموحدية والتي كان من ابرزها (كتاب اعز ما يطلب) (٤) و(كتاب الطهارة) (٥) وعقيدة التوحيد التي تسمى بـ (المرشدة) (٦) حيث انتفع بعلمه اهل مدينة تلمسان (٧) المغربية ومدينة بلنسية (٨) الاندلسية حيث وصف القاضي ابو تميم اهل هذين الدينيتين بالفطنة والذكاء وصفاء الذهن وجودة القرائح (٩) كما اشتهر القاضي ابو عبدالله محمد بن مأمون (ت ٥٨٦ هـ) (١٠) بتدريسه القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

- (١) سبتة : مدينة مغربية تقع على ساحل البحر واشتهرت بحصانة اسوارها ومناعة حصونها . راجع ، مجهول ، المصدر السابق، ص ١٣٧ .
- (٢) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج٥ ، ق ٢ ، ص ٤٤٨ .
- (٣) هو ابو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون الفرداوي احد قضاة الموحدين المعروفين بسعة علمهم قام بتدريس علوم الدين والفقه والعقائد الموحدية في مدن بلاد المغرب والاندلس ، توفي سنة ٥٨٤ هـ .
- (٤) وهو كتاب الفقه محمد بن تومرت (ت ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م) الى عموم الموحدين وجعله خاصا بالعلم حيث بين فيه فضل العلم ومكانته في نفوس المتعلمين .
- راجع ، ابن تومرت ، اعز ما يطلب ، الجزائر ، ١٩٠٣ ، ص ٣-٤ .
- (٥) وهو عبارة عن مجموعة احاديث نبوية شريفة جمعها ابن تومرت وصنفها في كتاب ثم طلب من عامة الموحدين دراستها وحفظها .
- (٦) وهي عبارة عن مجموعة مسائل فقهية وضعها ابن تومرت لعامة الموحدين وجعل حفظها واجبا ، انظر الكتبي ، عيون التواريخ ، تحقيق : فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم بغداد ، ١٩٧٧ ، ج١٢ ، ص ١٠٥ ، البغدادي ، هدية العارفين في اسماء المؤلفين واثار المضعفين ، استانبول ، ١٩٥١ ، ج٢ ، ص ٩٠
- (٧) تلمسان : مدينة مغربية اشتهرت بخصوبة ارضها وكثرة عمارتها = راجع ، مجهول ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .
- (٨) بلنسية : مدينة اندلسية تقع على ساحل البحر تضم عدة اقاليم ومرسى للسفن .
- انظر ، ابن غالب ، نص اندلسي جديد قطعة من كتاب فرحة الانفس في تاريخ الاندلس ، تحقيق : د. لطفي عبد البديع ، مصر ، ١٩٥٦ ، ص ١٦ .
- المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج٥ ، ق ٢ ، ص ٣٨٧ .
- (٩) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج٥ ، ق ٢ ، ص ٣٨٧ .
- (١٠) هو ابو عبد الله محمد بن جعفر بن احمد بن خلف بن حميد بن مأمون من ابرز قضاة الموحدين اشتهر بتدريس علوم القرآن الكريم والفقه والحديث النبوي الشريف وعلوم اللغة العربية والادب. توفي سنة ٨٦ هـ .
- راجع ، ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق : السيد عزت العطار الحسيني ، مصر ، ١٩٥٦ ، ج٢ ، ص ٥٣٩ .

إضافة إلى تدريسه علوم اللغة العربية والأدب ، فقد أخذ عنه جميع أهل مدينة بلنسية كما استفاد من علمه أهل مدينة مرسية (١) عند انتقاله إليها (٢) .

وكذلك اهتم قضاة الموحدين بتدريس القضاة المبتدئين أصول المعرفة القضائية وأساليب التعامل مع الخصوم وطرق اكتشاف الحقائق (٣) فقد كان القاضي أبو بكر يحيى بن أحمد السكوني يدرس عدد من الطلبة والقضاة المبتدئين ضمن حلقة دراسية في مدينة أشبيلية ، حيث درس فيها مختلف أنواع العلوم الدينية والفقهية والمعرفية والعقائد الموحدية وعلوم اللغة العربية والأدب وأساليب تعامل القضاة مع الخصوم وما يجب على القاضي أن يتحلى به من معرفة علمية وثقافة واسعة ، وقد عرفت حلقة القاضي السكوني عند عامة الموحدين بأنها من أحفل الحلقات علماً واجمعها معرفة (٤) . في حين كانت تقع على عاتق القضاة أيضاً مهمة اختيار المؤيدين لابناء الخلفاء الموحدين بصفاتهم أكثر العلماء معرفة بالمؤيدين المعروفين بعلمهم الواسع وثقافتهم الشاملة . فقد طلب الخليفة الموحي أبو يوسف يعقوب المنصور ((يوماً من قاضيه أن يختار له معلماً أو معلمين لتعليم ولد عنده)) (٥) فتم له ما أراد .

كما أسندت إلى قضاة الموحدين عدد من الوظائف المرموقة في الدولة كجزء من المهمات الموكلة اليهم فقد ولي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن القاضي أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزائن العلمية في الدولة الموحدية وكانت هذه الوظيفة من الخطط الجليلة والوظائف المهمة عند الموحدين لا يتولاها منهم إلا كبار العلماء وأفاضل الفقهاء (٦) في حين تقلد بعض القضاة مهام وظيفية الحسبة (٧) حيث أطلق على الشخص الذي يتولاها اسم (المحتسب) (٨) وقد اختار خلفاء الموحدين لهذه الوظيفة القضاة المعروفين بعدالتهم ورجاحة

(١) مرسية : مدينة أندلسية تقع على ضفة نهر مشهورة بأرضها الخصبة وقلاعها المنيعة

انظر الحميري ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

ابن الأبار ، التكملة ، ج ٢ ، ص ٥٣٩ .

(٢) ابن الأبار ، التكملة ، ج ٢ ، ص ٥٣٩ .

(٣) ابن الزبير ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٤ .

(٥) الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق : محمد ماضور ، ط ٢ تونس ، ١٩٦٦ ، ص ١٥ .

(٦) ابن الخطيب ، الأحاطة ، ج ١ ، ص ١٨٤ . ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،

تحقيق : د. أحمد الأحمد ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ج ١ ، ص ٢١١ .

(٧) الحسبة : هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا أظهر فعله .

(٨) د. حسن باشا ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ج ٣ ، ص ١٠٢٧ .

عقلهم وسداد رأيهم وسلامة دينهم وعلمهم بالمنكرات الظاهرة (١) حيث كانت مهمتهم الأساسية الإشراف على الأسواق ومراقبة أسعار البضائع وإنزال أقصى العقوبات في الغشاشين ورافعي أسعار السلع بدون وجه حق (٢) .

وهناك من القضاة من تقلد مهام وظيفة الشرطة إضافة إلى عمله القضائي في الدولة فأصبح مكلفاً بإقامة العدل وحفظ الأمن في المدينة (٣) وقد اختار حكام الموحدين لهذه الوظيفة القضاة المعروفين بطول حلمهم وقوة شخصيتهم وطهارة سيرتهم (٤) وأبرز من تقلد مهام وظيفتي الحسبة والشرطة في الدولة الموحدية القاضي أبو محمد عبد المنعم بن محمد الخزرجي المعروف بابن الفرس (ت ٥٩٧ هـ) (٥) فقد كان قاضياً فاضلاً وعالماً جليلاً ينتمي إلى أسرة طيبة الذكر في مدينة غرناطة حيث ولاه الموحدون أعمالاً وظيفتي الحسبة والشرطة إضافة إلى عمله كقاضٍ للمدينة ، فأحسن القيام بتلك المهام فحمدت سيرته وانتشر عدله بين الناس (٦) .

وكذلك تولى قضاة الموحدين مهام وظيفة الصلاة والخطبة في مساجد الموحدين في مدن بلاد المغرب والأندلس فقد تولى القاضي عيسى بن محمد الحميري (ت ٦٠٥ هـ) (٧) مهام وظيفة الصلاة والخطبة بجامع مدينة طليطلة (٨) إضافة إلى مهامه كقاضٍ فيها (٩) . بينما ولي القاضي

(١) أبو يعلى ، الاحكام السلطانية ، تصحيح وتعليق : محمد حامد الفافقي ، ط١ ، مصر ١٩٣٨ ، ص ٢٦٩ .

(٢) د. محمود علي مكي ، مدريد العربية ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، د. ت ، ص ٨٥ .

(٣) حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٤٦٤ .

(٤) د. فاروق عمر وآخرون ، النظم الإسلامية دراسة تاريخية ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٢١٠ .

(٥) هو أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن فرج الخزرجي المعروف بابن الفرس من أشهر قضاة الموحدين علماً ، تولى أعمال الحسبة والشرطة إضافة إلى مهامه كقاضٍ لمدينة غرناطة ، توفي سنة ٥٩٧ هـ .

راجع ، ابن الأبار ، المتعذب من كتاب تحفة القادم ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، بيروت ، ١٩٨٩ ،

ص ١٣٤ ابن الزبير ، المصدر السابق ، ص ١٧-١٨-١٩-٢٠ .

(٦) ابن الزبير ، المصدر السابق ، ص ١٩ .

(٧) هو عيسى بن محمد بن حبيب الحميري من قضاة الموحدين البارزين تولى الخطبة والصلاة بجامع طليطلة ، توفي سنة ٦٠٥ هـ . راجع المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج ٥ ، ص ٥٠٥ .

(٨) طليطلة : مدينة أندلسية تقع على نهر تاجه تضم عدد من المدن والحصون .

انظر ، ابن غالب ، المصدر السابق ، ص ١٩ .

(٩) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج ٥ ، ص ٥٠٥ .

أبو الحسن علي بن عبد الله بن قطرال (ت ٦٥١ هـ) (١) خطة المناكح واحكام النساء فاحسن ادارتها والاشراف عليها . فاحبه العامة و الخاصة من الموحدين (٢) . في حين اعتمد الخليفة الموحيدي الرشيد (٦٣٠ - ٦٤٠ هـ / ١٢٣٢ - ١٢٤٢ م) على القاضي ابو الحسن علي بن محمد الانصاري (ت ٦٦٣ هـ) (٣) في اسناد وظيفة كتابة اعمال بلاطه اليه حتى صار من ابدع كتابة . كما استعمله في العديد من الاعمال السلطانية حيث ولاه خطة الاشراف على بلاد حاحة (٤) فظل فيها حتى وفاته (٥) .

وكجزء من المهام الموكلة لقضاة الموحدين فقد كان الخلفاء يرشحونهم للمشاركة في بعض اللجان لضمان تحقيق العدالة والمساواة بين الناس ، فعندما قرر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن انشاء عدد من القصور والمتنزهات في مدينة اشبيلية طلب من القاضي ابو القاسم احمد بن محمد الحوفي (من رجال القرن السادس الهجري) (٦) بالمشاركة في اللجنة التي شكلها لتعويض المتضررين لما عرف عنه من حسن ديانة وحفظ أمانة ومعرفة تامة بعلوم المساحة والتكسير والفلاحة (٧) .

(١) هو ابو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن قطرال من ابرز قضاة الموحدين تولى خطة المناكح واحكام النساء فنال ثقة العامة والخاصة من الموحدين ، توفي سنة ٦٥١ هـ ، انظر ، ابن الزبير ، المصدر السابق ، ص ١٣٨-١٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٣) هو ابو الحسن علي بن محمد بن حسن الانصاري من اشهر قضاة الموحدين في عهد الخليفة الرشيد تولى مهام الكتابة والاشراف على بعض الاعمال السلطانية فاحسن في ادارتها ، توفي سنة ٦٦٣ هـ .

راجع المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج٥ ، ق١ ، ص ٢٨٧-٢٨٨-٣٠١ .

(٤) حاحة : مدينة مغربية اشتهرت بكثرة الفواكه وانتشار عيون المياه المعدنية الحارة راجع ، مجهول ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج٥ ، ق ١ ، ص ٢٨٧-٢٨٨-٣٠١

(٥) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج٥ ، ق ١ ، ص ٢٨٧-٢٨٨-٣٠١

(٦) هو ابو القاسم احمد بن محمد الحوفي من قضاة الموحدين المشهورين بحسن الدين وحفظ الامانة وسعة العلم شارك في اللجنة التي شكلها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لتعويض المتضررين من جراء بنائه عدد من القصور والمتنزهات ، (عاش في القرن السادس الهجري) .

انظر ، ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٥٠٠-٥٠١

(٧) المصدر نفسه ، ص ٥٠٠-٥٠١

مجالس القضاة

عدت مجالس القضاة من أهم المجالس المقامة في الدولة الموحدية لان فيها يتم تحقيق العدالة بإنصاف المظلوم وإعادة حقه اليه وردع الظالم لتعدية واستغلاله . وقد حفلت هذه المجالس بالعديد من المرافقات بين الخصوم حيث كان قضاة الموحدين يستعملون الأمانة والبراهين ويسترجعون اقوال الدعين ويستدعون الشهود ليتوصلو في النهاية الى حكم عادل مستندا الى اسس الشريعة الاسلامية .

فقد كان مجلس القاضي عمر بن ابي الحسن محمد بن واجب من المجالس الحافلة بدعاوى الخصوم ، حيث اشتهر بعدالة احكامه فكان لا يقبل وساطة أي من الناس او الامراء لاحد الخصوم لذا فقد احبه العامة وأكرمه الخليفة عبد المؤمن لعادته (١) . في حين نجد ان الخليفة الموحيدي عبد المؤمن كان يحضر مجالس القضاة ويقف بنفسه على متابعة دعاوى الخصوم ، وذلك عندما بلغه تشكي اهل عدوة المغرب من سوء معاملة بعض العمال لقيامهم بجمع الاموال من عامة الناس من غير وجه حق ، والحاقهم الضرر بهم وعجز القضاة الموجودين في مدنها عن انصافهم من ذلك الظلم ، قرر تشكيل مجلس قضائي أعلى وطلب من أشياخ الموحدين ونبذة الحضرة وعدد من القضاة حضوره معه ليتم الاستماع لدعاوى المشتكين واستعراض قضاياهم لإنصافهم من ذلك الظلم والجور (٢) .

كما عرفت مجالس القضاة في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بعدالة قضاتها فقد كان مجلس القاضي ابو حفص عمر بن عبد الرحمن بن عذرة الانصاري من مجالس قضاة الموحدين احكاما (٣) في حين كان يعقد الخليفة يعقوب المنصور مجلسا قضائيا عاما في كل يوم جمعة بعد اداء صلاة الفريضة يحضره كل من الخليفة المنصور وعدد من اساتذة واعيان الدولة وشيوخ الموحدين وطلبة الحضرة حيث يتقدم عامة الناس برفع شكاويهم الى ذلك المجلس وخاصة الذين لم ينصفهم القضاة في مدنها لينظر في امرهم ويرفع الظلم عنهم ويأمر العدل (٤) . وكان للخلفاء الموحدين أسلوبا خاصا في تحري الحقائق فعند ما كان يتقدم أحد الرعية بشكوى ضد أحد ولاة أقاليم الدولة الموحدية وقاضيه المتعاون معه نجد الخليفة الموحيدي يرسل بعض الأشخاص الموثوق بهم كمحققين سريين التحري الحقائق وجمع الأدلة والبراهين وتقديمها

(١) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج ٥ ، ق ٢ ، ص ٤٦٧-٤٦٨ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

(٣) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج ٥ ، ق ٢ ، ص ٤٤٨ .

(٤) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٤٤٦ .

للخليفة الموحي ليتلى بنفسه محاسبة ذلك الوالي وقاضيه وإصدار الحكم المناسب لهما ، وهذا ما فعله الخليفة يوسف بن عبد المؤمن مع والي مدينة فاس (١) وقاضيهما عندما تعاونوا معا على ظلم الرعية والحاك الضرر بهم حيث امر الخليفة ابو يعقوب بالقضاء القبض عليهما وتقديمهما الى مجلس قضائي ضم الخليفة وعدد من القضاة وأعيان الموحدين حيث سمعت شكاوى المتضررين وصدر الحكم ضدهما بمصادرة جميع اموال وضياع الوالي وقاضيه وتسليمهما الى خزانة الدولة وترك لكل رجل منهما دارا واحدة فقط مع دفع غرامة مالية وقدرها أربعمائة وستون ألف دينار يدفعونها على شكل ٣ أقساط بكفالة شهود عدول وبمتابعة رقباء ماليين يمثلون خزانة الدولة (٢).

وفي عهد الخليفة يعقوب المنصور وصفت مجالس القضاة بانها من افضل المجالس عدالة لما بذله الخليفة المنصور من جهد بالغ في اختيار القضاة ومتابعة شديدة لدعاوى الخصوم ، فقد حظى مجلس القاضي ابو الحسن علي بن احمد الاموي برعاية الخليفة المنصور واهتمامه لان ابو الحسن كان من افاضل قضاة الموحدين وابرز علمائهم فقد كانت أحكامه منصفة للمظلوم ورادعة للظالم (٣). وكثيرا ما كان الخليفة المنصور يحضر بنفسه مجالس القضاء ويستمع الى الشكاوي والمرافعات وحكم القضاة فيها ولكن دون ان يراه أحد من الخصوم . فقد اشترط المنصور على قاضيه ابو القاسم احمد بن بقي بن مخلد (من رجال القرن السادس الهجري) (٤) ان يجلس معه في مجلس قضاة ويستمع الى حكمه في جميع القضايا المرفوعة اليه دون ان يراه احد وذلك بإنشاء ستار خفيف من الألواح يفصل بينه وبين القاضي (٥).

ونظرا لحرص الخليفة الموحي يعقوب المنصور على ارساء اسس العدل في جميع انحاء دولته ومؤسساتها فقد أقام مجلسا قضائيا أعلى في الدولة وجعل ابوابه مفتوحة امام عامة الموحدين طيلة أيام الاسبوع في حين خصص لبعض القضايا اياما محددة ، وكان الخليفة نفسه ينظر بدعاوي الخصوم ويصدر الاحكام المناسبة لها (٦). فقد رفعت اليه شكوى في احد

(١) فاس : مدينة مغربية اشتهرت بخصوبة ارضها واعتدال مناخها .

راجع ، مجهول ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ق ٣ ، ص ١٣١ .

الراكشي ، الذيل والتكملة ، ج ٥ ، ق ١ ، ص ١٦٩ - ١٧٠

(٣) الراكشي ، الذيل والتكملة ، ج ٥ ، ق ١ ، ص ١٦٩ - ١٧٠

(٤) هو ابو القاسم احمد بن محمد بقي بن مخلد أحد قضاة الموحدين في عهد الخليفة يعقوب المنصور عرف

بعدالة احكامه ونزاهتها ، (من رجال القرن السادس الهجري) .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ .

الايام ضد رجل من عامة الموحدين لانه بنى غرفة على سطح داره واتخذها متنزها له ولاخوانه واصدقائه واخذ يشرف على سطوح جيرانه ويزعجهم فأمر المنصور بتشكيل لجنة قضائية مكونة من عدد من القضاة العدول لتحري الحقائق وللكشف عن صحة الدعوة ، ولما رأت اللجنة ان الغرفة تشرف فعلاً على سطوح بعض الجيران مسببة ازعاجا لهم امر المنصور بهدمها وتغيير مكانها(١) .

كما تشدد الخليفة الموحي يعقوب المنصور في محاسبة القضاة الذين ظهرت عليهم المخالفات القانونية ، فقد تم محاسبة القاضي ابو العباس العبدري (ت ٥٨٦هـ) (٢) لقيامه باطلاع سراح أخيه من السجن مقابل رشوة قدرها ألف دينار حيث القي القبض عليه وعوقب بضربة الف سوط لخيانته أمانة مهنته ومخالفته الشريعة وقوانين الدولة الموحدية فهلك قبل استيفاء عقوبته(٣) . وكذلك تمت محاسبة القاضي أبو الوليد بن رشد (ت ٥٩٥ هـ) (٤) بتهمة محاولته بث سموم التفرقة في المجتمع الموحي من خلال مؤلفاته حيث تم نفيه الى مدينة بيلانه(٥) عقاباً له(٦) .

وفي عهد الخليفة الناصر زاد اهتمام الدولة بمجالس القضاة حيث قدمت لها وللعاملين فيها كافة الدعم لما لها من علاقة وطيدة بالمجتمع الموحي . فقد كان مجلس القاضي عتيق بن علي العبدري (ت ٦٠٣ هـ) (٧) من ابرز مجالس القضاء وأعدلها أحكاما وأكثرها اهتماما من قبل الدولة الموحدية(٨) في حين نجد ان الخليفة المأمون (٦٢٧

(١) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ق ٣ ، ص ١٥٨ .

(٢) هو أبو العباس العبدري أحد قضاة الموحدين في عهد الخليفة يعقوب المنصور تمت محاسبته لقيامه باخذ

رشوة من قبل أحد السجناء ، توفي سنة ٥٨٦ هـ .

راجع ، ابن الأبار ، المقتضب ، ص ١٨٣

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨٣ .

(٤) هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد من أشهر قضاة الموحدين في عهد الخليفة المنصور حيث اتهم ببث التفرقة وتهديد كيان الدولة في مؤلفاته فتم محاسبته ونفيه ، توفي سنة ٥٩٥ هـ .

انظر ، ابن الأبار ، التكملة ، ج٢ ، ص ٥٥٣-٥٥٥ ابن سعيد ، المصدر السابق ، ط١ ، ص ١٠٤ .

(٥) بيلانه : مدينة أندلسية من أعمال قرطبة عرفت بموقعها الحصين .

راجع ، الحميري ، المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(٦) ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠٥

(٧) هو عتيق بن علي بن سعيد العبدري من ابرز قضاة الموحدين في عهد الخليفة الناصر اشتهر بعدالة احكامه ونزاهتها ، توفي سنة ٦٠٣ هـ .

انظر ، ابن الزبير ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .

(٨) ابن الزبير ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .

— ٦٣٠ هـ / ١٢٣٠ — ١٢٣٣ م) قد أقام مجلسا قضائيا استقبل فيه جميع شكاوى الموحدين ، حيث تقدمت إليه امرأة بشكوى ضد أحد الأجناد لاستيلائه على دارها وعدم دفعه ايجارا لها ، فأصدر المأمون حكما بإخراجه من الدار وعدم تقديم أي شيء تعويضا له (١) .

كما كان لعموم خلفاء الموحدين مجلسا قضائيا يعقد جلساته كل يوم سبت وهو اشبه بمحكمة الاستئناف حيث يحضره الخليفة الموحد وأقاربه ورجال دولته وطلبة الحضرة واشياخ الموحدين حيث يجلس أقارب الخليفة على الجانب الأيمن والأشياخ على الجانب الأيسر ، ويحضره أيضا وزير الجند ووزير المال وصاحب الشرطة والمحتسب وعدد من القضاة وصاحب كتب المظالم حيث يبدأ كاتب المجلس بالمناداة على أصحاب الشكاوى واحدا بعد الآخر للنظر في قضاياهم حسب الجهة المرفوعة ضدها (٢) .

المستوى المعاشي للقضاة

عُد قضاة الموحدين كغيرهم من موظفي الدولة فقد كانوا يتقاضون اجورا على عملهم على شكل رواتب شهرية أو منح فصلية إضافة الى ما يحصلون عليه من الهدايا والصلات في المناسبات ومواسم الأعياد ، بينما نجد بعض القضاة قد فضلوا الاعتماد على أنفسهم لكسب عيشهم فاحترفوا صنعة معينة واخذوا يمارسونها .

وقد عاش قضاة الموحدين في عهد الخليفة عبد المؤمن بمستوى عال من الرفاهية وكثرة الأموال وكان قصد الخليفة من وراء ذلك هو كف ايديهم عن المال الحرام الذي ربما يدفعهم اليه العوز والفقر فينتصر الظالم على حساب المظلوم ، فقد كان القاضي علي بن ابي القاسم الزهري من اكثر قضاة عبد المؤمن جاها واموالا (٣) في حين حظي القاضي ابو العباس احمد بن عبد الرحمن الانصاري بالعديد من الصلات المالية والاعطيات المتواصلة من قبل الخليفة عبد المؤمن (٤) . حتى بلغت قيمة إحدى صلاته خمسمائة دينار (٥) .

كما حظي القضاة في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمستوى معاشي جيد ، فقد نال القاضي ابو العباس احمد بن ابي القاسم عبد الرحمن التميمي حظوة وجاها عند الخليفة ابو

(١) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج١ ، ص٤١٦

(٢) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ، ١٩١٥ ، ج٥ ، ص ١٤٥ .

(٣) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج٥ ، ق١ ، ص ١٦٢ - ١٦٤

(٤) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج١ ، ص ١٨٤ .

(٥) ابن فرحون ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢١١ .

يعقوب حيث أكرمه بالعديد من الهدايا والصلوات العينية والنقدية حتى فاق عددها ما حصل عليه جميع المقربين من أعيان الموحدين في عهده (١) في حين زهد بعض قضاة الموحدين عن طلب ملذات الدنيا وانصرفوا إلى العبادة وطلب العلم فقد تقدم القاضي أبو عبد الله بن أحمد الانصاري المعروف بابن المجاهد (ت ٥٧٤هـ) (٢) بطلب إلى الخليفة أبو يعقوب طالبا منه إعفائه من ولاية قضاء مدينة شريش (٣) لأنه زهد عن الدنيا ويريد الانصراف إلى العبادة ودراسة علوم الدين وأصول الفقه ، فحاول الخليفة يوسف بن عبد المؤمن استمالته بعدد من الهدايا والصلوات الثمينة إلا أنه رفضها جميعا . فعرض عليه عملا يختاره بنفسه في بلاطه فرفض أيضا فقام بإعفائه نزولا عند رغبته ، فبدأ القاضي ابن المجاهد حياته الجديدة كطالب للعلم وعابد متصوف وكان يكسب رزقه بيده حيث عمل نساخا للمصاحف (٤) .

في حين كان المستوى المعاشي لقضاة الموحدين في عهد الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور مرتفعا جدا فقد حصلوا على الرواتب الضخمة والصلوات الثمينة ، فقد حظي قاضي مدينة فاس محمد بن عبد الله بن طاهر (ت ٦٠٨ هـ) (٥) برعاية خاصة من قبل الخليفة المنصور حيث بلغ عنده مرتبة عليا ومكانة مرموقة . فقد بلغت قيمة الصلات التي حصل عليها تسعة عشر ألف دينار إضافة إلى الخلع وعدد من المراكب والاقطاعات الواسعة (٦) كما حظي القاضي أبو محمد عبد الله بن سليمان ابن حوط الله بكرم الخليفة المنصور فقد أهدى عليه الكثير من الأموال حتى نال جاها عظيما وثراء واسعا (٧) .

وفي عهد الخليفة الموحي الناصر حظي قضاة الموحدين برعاية خاصة حتى أصبحوا من

(١) الغبريني ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موسى الانصاري المعروف بابن المجاهد أحد قضاة الموحدين في عهد الخليفة أبو يعقوب طلب إعفائه من ولاية القضاء للانصراف إلى العبادة ودراسة العلم ، توفي سنة ٥٧٤هـ .

راجع ، المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج ٥ ، ق ١ ، ص ٦٦٧-٦٦٠

(٣) شريش : مدينة أندلسية تقع بالقرب من ساحل البحر عرفت بخصوبة أرضها وكثرت مزروعاتها ، انظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص ١٠٢

(٤) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج ٥ ، ق ٢ ، ص ٦٦٦-٦٦٧ .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن طاهر يرجع نسبه إلى ولد الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) من أبرز قضاة الموحدين في عهد الخليفة المنصور حيث نال في عهده عزا وجاها ، توفي سنة ٦٠٨ هـ .

راجع ، المراكشي ، المعجب ، ص ٣١٢ .

(٦) المراكشي ، المعجب ، ص ٣١٢ .

الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٦ ، ص ٨٤

(٧) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٦ ، ص ٨٤

نوي الجاه والسلطان في عهده ، فقد نال القاضي ابو عمران موسى بن عيسى المكناسي (ت ٦١٨ هـ) (١) مكانة مرموقة عند الخليفة الناصر وأمراء البلاط ، الموحي حيث اكرم بالعديد من الهبات والصلوات الثمينة ولا سيما في اوقات المناسبات ومواسم الاعياد فعظم جاهه وزاد ماله واصبح من اثرياء الموحدين . كما شمله ايضا عطف ابنه الخليفة الموحي يوسف المستنصر (٦١٢ - ٦٢٠ هـ / ١٢١٥-١٢٢٤ م) وكرمه فاصبح من ابرز قضاة الموحدين واوفرهم حظوة عند انبلاط واكثرهم مالا وجاها (٢) .

بينما ارتفع المستوى المعاشي للقضاة بشكل ملحوظ في عهد الخليفة الموحي الرشيد لكثرة ما حصلوا عليه من الصلات والهبات والرواتب الضخمة فقد كان القاضي ابو الحسن علي بن محمد الأنصاري من أغنى قضاة مدينة مراكش (٣) وأكثرهم مالا لانه ولي العديد من الأعمال السلطانية في دولة الرشيد الموحي إضافة الى عمله كقاض للموحدين فزاد راتبه وكثرت هباته ، وكان كثير الإنفاق في اوجه البر المختلفة حيث أقام العديد من وجبات الإطعام للفقراء والمساكين وتصدق ببعض امواله على المحتاجين . في حين كتب في وصيته بأن يذهب جميع ماله بعد وفاته الى بيت المال لينفق في اوجه البر وأعمال الخير المختلفة (٤) .

(١) هو ابو عمران موسى بن عيسى بن عمران بن ابرز قضاة الموحدين في عهد الخليفة الناصر وابنه المنتصر حظي في عهديهما بمكانة مرموقة ونال جاها عظيما . توفي سنة ٦١٨ هـ .

انظر المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٣٨١-٣٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٣٨١ .

(٣) مراكش : من اشهر مدن بلاد المغرب اسسها الحاكم المرابطي يوسف بن تاشفين سنة ٤٥٩ هـ واتخذها عاصمة لدولة المرابطين ، وعندما فتحها الخليفة الموحي عبد المؤمن بن علي لتخذها عاصمة لدولة الموحدين فاصبحت من المراكز الحضارية المهمة في عهده

انظر ، مجهول ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩

(٤) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج ٥ ، ق ١ ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٣٠١

مصادر البحث ومراجعته

أولا - المصادر الأولية :-

- ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضائي (ت ٦٥٨ هـ) :
 التكملة لكتاب الصلة ، (نشر : السيد عزت العطار الحسيني ، مصر ، ١٩٥٦) .
 المعجم في اصحاب القاضي الصدي ، (تحقيق : ابراهيم الابياري ، بيروت / ١٩٨٩) .
 المقتضب من كتاب تحفة القادِم ، (تحقيق : ابراهيم الابياري ، بيروت / ١٩٨٩) .
 البغدادي ، اسماعيل باشا محمد الباباني (ت ١٣٣٩ هـ) :
 هدية العارفين في اسماء المؤلفين واثار المصنفين . (استانبول / ١٩٥١) .
 ابن تومرت ، أبو عبد الله محمد المهدي (ت ٥٢٤ هـ) :
 اعز ما يطلب . (الجزائر / ١٩٠٣) .
 الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧ هـ) :
 صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، (تحقيق :
 ليفي بروفنسال ، القاهرة / ١٩٣٧) .
 ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) :
 الاحاطة في اخبار غرناطة ، (تحقيق : محمد عبد الله عنان ، القاهرة / ١٩٧٤) .
 تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، (تحقيق : احمد مختار العبادي ومحمد
 ابراهيم الكتاني ، الدار البيضاء / ١٩٦٤) .
 الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) :
 تذكرة الحفاظ ، (حيدر باد - الدكن ، الهند / ١٩٥٧) .
 سير اعلام النبلاء ، (تحقيق : محب الدين أبي سعيد بن غرامة العمروي / ط ١ ،
 بيروت / ١٩٩٦) .
 ابن الزبير ، احمد بن ابراهيم (ت ٧٠٨ هـ) :
 القسم الاخير من صلة الصلة ، (نشر : ليفي بروفنسال ، الجزائر / ١٩٣٧) .
 الزركشي ، أبو عبد الله محمد بن أبي ابراهيم (عاش في القرن السابع الهجري) :
 تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (تحقيق : محمد ماضور ، تونس / ١٩٦٦) .
 ابن سعيد ، أبو الحسن علي بن موسى الاندلسي (ت ٦٨٥ هـ) :
 المغرب في حلى المغرب . (تحقيق : شوقي ضيف ، ط ٢ ، مصر / ١٩٦٤) .

- ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك بن محمد (كان حيا سنة ٥٩٤ هـ) :
- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بان جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين وظهور الامام المهدي بالموحدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة الامام الخليفة امير المؤمنين واخير الخلفاء الراشدين . تحقيق : عبد الهادي القازي ، بغداد / ١٩٧٩ .
- الضبي ، احمد بن يحيى بن احمد بن عمير (ت ٥٥٩٩ هـ) :
- بغية الملتبس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، دار الكتاب العربي / ١٩٦٧ .
- ابن عذارى المراكشي ، ابو العباس احمد بن محمد (كان حيا سنة ٧١٢ هـ) :
- البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس والمغرب ، ق ٣ (عني بنشره : امبروسي هويسى ميراندة بمساهمة محمد تاويت ومحمد ابراهيم الكتاني ، تطوان / ١٩٦٠) .
- ابن غالب ، محمد بن ايوب (من رجال القرن السادس الهجري) :
- نص اندلسي جديد قطعة من كتاب فرحة الانفس في تاريخ الاندلس (تحقيق : د. لطفي عبد البديع ، مصر / ١٩٥٦) .
- الغبريني ، ابو العباس احمد بن احمد بن عبد الله (ت ٧١٤ هـ) :
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية ، (تحقيق : عادل نويهيض ، بيروت ، ١٩٧٩) .
- ابن فرحون ، برهان الدين بن ابراهيم بن علي المالكي (ت ٧٩٩ هـ) :
- الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ، (تحقيق : د. محمد الاحمدي القاهرة / ١٩٧٤) .
- القلقشندي ، احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) :
- صبح الاعشا في صناعة الانشا ، (القاهرة / ١٩١٥) .
- القيرواني ، ابو عبد الله محمد بن ابي دينار (ت ١٠٩٢ هـ) :
- المؤنس في اخبار افريقية وتونس . (تحقيق : محمد شمام ، المكتبة العتيقة / ١٣٨٧ هـ) .
- الكتبي ، محمد بن شاكر بن احمد (ت ٧٦٤ هـ) :
- عيون التواريخ ، ج ١٢ (تحقيق : فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم ، بغداد / ١٩٧٧) .
- الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ) :
- الاحكام السلطانية والولايات الدينية . (ط ١ ، مصر ، ١٩٦٠) .
- مجهول ، مؤلف (عاش في القرن السادس الهجري) :
- الاستبصار في عجائب الامصار ، (تحقيق : د. سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية / ١٩٥٨) .

- المراكشي ، عبد الواحد بن علي (من رجال القرن السابع الهجري) :
- المعجب في تلخيص اخبار المغرب . (تحقيق : محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي . القاهرة / ١٩٤٩) .
- المراكشي ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت ٧٠٣ هـ) :
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة . (ج ٥ ، تحقيق : د. احسان عباس ، بيروت / ١٩٦٥ ، ج ٨ تحقيق : محمد بن شريفة ، الرباط / ١٩٨٤) .
- المقري ، احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) :
- ازهارالرياض في اخبار عياض . (تحقيق : مصطفى السقا وآخرون / ١٩٣٩) .
- المنذري ، زكي الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦ هـ) :
- التكملة لوفيات النقلة . (تحقيق : بشار عواد معروف ، بغداد / ١٩٦٨) .
- النباهي ، ابو الحسن عبد الله بن الحسن (ت اواخر القرن الثامن الهجري) :
- كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء الفتيان ، (بيروت ، لبنان / د. ت) .
- ياقوت الحموي ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) :
- معجم البلدان ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د. ت)
- ابو يعلي ، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت ٤٥٨ هـ) :
- الاحكام السلطانية . (تعليق : محمد حامد الفقي ، ط ١ ، مصر / ١٩٣٨) .

ثانيا - المراجع الثانوية

- باشا . د. حسن :
- الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية ، (القاهرة / ١٩٦٦) .
- باشا ضيا :
- الاندلس الذاهبة ، (تعريب : عبد الرحمن ارشيدات ، مراجعة وتحقيق : صلاح ارشيدات ، عمان / ١٩٨٩) .
- دوزي ، رينهاث :
- المعجم المفصل باسماء الملابس عن العرب (ترجمة : اكرم فاضل بغداد / ١٩٧١) .
- عمر ، د فاروق وآخرون :
- النظم الاسلامية دراسة تاريخية . (بغداد ، ١٩٨٧) .

الغضبان ، أكرم حسين :

كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة مصدرا لدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد الموحدين . (رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب ، جامعة البصرة / ٢٠٠٠) .

مكي ، د. محمود علي :

مدريد العربية ، (دار الكتاب العربي ، القاهرة / د. ت) .

مؤنس ، حسين :

فجر الأندلس (ط١ ، القاهرة / ١٩٥٩) .